إن ما يحدث في حالة نبش مخازن اللغة هو عملياً إطلاق لعقال القمقم الفحل الذي يكمن تحت جلد اللغة وفي ضميرها. ولذا فإن محاولات تأنيث اللغة تلتبس دائماً بعناصر الفحولة فتتصارع معها في جانب وتخضع لها في جانب. إلى درجة أننا نجد نساء لا يكتبن سوى نصوص ذكورية ذات وجه مذكر وضمير مذكر وليس للمرأة سوى اسم مؤنث يتوج الخطاب الذكوري.

وفي حالة التأنيث الصحيح لا يسلم الخطاب من فحولته وهذا يعني أن مساعي تأنيث اللغة لم تتمكن ـ بعد ـ من تأنيث الذاكرة، مما يجعلنا نشهد نصاً أنثوياً على مستوى الخطاب الأدبي، ولكنه يضمر داخله ذاكرة الفحولة. وهي ذاكرة تعبر عن فحولتها بصور مختلفة من الدلالات ـ المجازات ـ عبر الثقافة المتغلغلة في خلايا النسيج اللغوي والتي تتسرب من تحت سطح النص.

والحقيقة أن تأنيث الذاكرة لما يزل هدفاً بعيد التحقيق، إذ إن عمر الفحولة اللغوية أوسع من أن تنافسه أنوثة حديثة العهد بالكتابة، وهي أنوثة لم تؤسس ذاكرتها الأدبية ـ بعد ـ. وكل ما تملكه اللغة من ذاكرة عن المرأة هي أنها (جسد)، وهو جسد لا يملك سوى دلالة واحدة هي دلالة شبقية. وكل رسائل الجسد الأنثوي ولغته ليست سوى هذه الدلالة الشبقية. إنه نص شبقي وليس جسداً عاقلاً. وكل لقاء بين الرجل والمرأة هو حالة من حالات استدعاء هذه الذاكرة الراسخة. حيث يحمل الرجل في ذاكرته صورة ذهنية لامرأة ما. ويقوم اللقاء باستدعاء هذا التصور وتحريكه باتجاه عقد المقارنات بين ما هو في الذاكرة وما هو في المشاهدة.

لقد ظل الرجل يقرأ المرأة بعينه ويفسرها بأحاسيسه. وظلت المرأة نصاً شهوانياً تتمتع به حواس الذكر وتلتهمه.

وحينما التقى بطلا ذاكرة الجسد فإن اللقاء بالنسبة للرجل هو لقاء